

# الأب أنستاس ماري الكرمللي

## « محيط المحيط »

د. عبد الكريم اليافي

سبق أن نشرنا في العدد الثامن والأربعين من مجلة « التراث العربي » ما سنح لنا من مستدركات على معجم « محيط المحيط » للمعلم بطرس البستاني ، ثم ألحقنا في العدد التاسع والأربعين مستدركات الأب أنستاس الكرمللي على هذا المعجم الثري . وقد تعقبنا في ذلك المقال ما جاء من تلك المستدركات في السنة الخامسة من مجلة « لغة العرب » التي كان يصدرها الأب الكرمللي . وها نحن أولاء نتابع نشر المستدركات التي وردت في السنة السادسة من مجلة « لغة العرب » (سنة ١٩٢٨) ، إما مباشرة وإما من خلال نقد الكرمللي لمعجم « البستان » .

و « معجم البستان » هذا كما ذكرنا قبلاً في مجلة « التراث العربي » من تأليف عبدالله البستاني . وكان مؤلفه قد اعتمد في جملة مصادره « محيط المحيط » دون تمحيص ما نقله عنه .

وهدفنا في هذا النشر كما بينّا في أول مقال لنا بهذا الصدد تهذيب « محيط المحيط » نظراً لقيمته العلمية واللغوية ، وزيادة في صونها وتخليصها من الشوائب ، واستجابة لأمني مؤلفه المعلم بطرس البستاني ، وتحاشياً لعدوى الأخطاء التي تتسرب عند النقل ، ولا سيما أن من خصائص المعجمات وكتب اللغة الرجوع إليها في الحين تلو الحين واعتمادها في ابتغاء القول الفصل وتحري الصحيح من مفردات الكلام والكتابة .

والمغاية من وراء ذلك كله خدمة اللغة العربية . فان خدمتها من أسنى  
المآرب الشريفة القومية والانسانية .

★ ★ ★

جاء في الجزء الأول من السنة السادسة من لغة العرب :

### الاشفى

في محيط في مادة اش ف ؛ الاشفى ( وضبطها بكسر الأول وفتح ما قبل  
الآخر ) الاسكاف . وهو غلط ظاهر والصواب مثقب للاسكاف ومعناه الأصلي  
السلاء كما في الآرامية .

### نقد صفحة من البستان

قال الشيخ حفظه الله ومتعنا بطول عمره في مادة ش و ك : « شك السلاح »  
وفيه قولان أحدهما ان أصله شوك ( وضبط الواو بالفتح وزان سبب ) قلبت  
الواو ألفاً لوقوعها متحركة بعد فتحة « . . . » - قلنا : والصواب شوك ( بكسر  
الواو اذ لا وجود لشوك المفتوحة الواو بمعنى شائك .

وقال في جمع الشوك : « أشواك » . - قلنا : لم يرد الأشواك في كلام فصيح  
والصواب ان الشوك لفظ شبيه بالجمع ولم ينقل عنهم جمعه .

وذكر شرحاً للشوكة ما حرفه : « والشوكة عند المولدين أداة كالمنذرة ذات  
أصابع دقيقة محددة يؤكل بها . » - وهي عبارة محيط المحيط الا أنه غير « آلة »  
« بأداة » . وقوله ذات أصابع كلام غريب والأحسن ذات أسنان .

وشرح شوكة الكتان بقوله : طينة تدار رطبة ويغمز أعلاها « ثم » تنبسط  
ثم . . . - والصواب ويغمز أعلاها « حتى » تنبسط ليستقيم المبنى والمعنى .

وفي تلك الصفحة عينها : « أرضي شوكي نبات يقال له الخرشوف . » وفي  
هذا التعبير عدة معاييب :

١ - لم يحل اللفظة بال التعريف على مألوف عاداته في الأسماء .

٢ - لم يضبط حرفاً من أحرفها .

٣ - هذه الكلمة « أرضي شوكي » من الألفاظ التي اختلقها الياس بقطر (١)

وليس لها وجود في العربية البتة • لأن تركيبها ليس عربياً • ولو كان كذلك  
لقليل : الشوك الأرضي ، أو الأريض الشوكي مثلاً • ومعنى الأريض العريض .  
وذلك ان لهذا النبت ثمرة ملمومة الأوراق وأوراقها عريضة وفي طرف كل  
ورقة شوكة صغيرة • فيكون الأريض الشوكي النبت العريض [ الورق ]  
الشوكي [ في طرفه ] فيجيء التركيب عربياً • أما الأرضي الشوكي فتركيب  
غير سائغ في لغتنا ولا معنى له فيها • ونقلها عن بقطر رسل  
وعنه فريتغ فأخذها عنه البستاني الكبير فبستانينا الأخير • أما أجدادنا  
العرب فانهم لم يعرفوها ولم ترد في ديوان من دواوينهم •

ومما ينظم في هذا السلك قوله في تلك الصفحة نفسها : « الجبل الشوكي  
هو النخاع المستطيل الممتد من الدماغ في قناة الفقرات » - وهو تعبير غريب لعدة  
أسباب :

- ١ - لأن الجبل الشوكي لم يذكره أحد من السلف في كتبهم اذ اللفظة حديثة  
الوضع ذكرها الأطباء المحدثون وأهل التشريح نقلاً عن الافرنج •
- ٢ - لم يضبط الحرفين كما هو المطلوب منه •
- ٣ - سوء التعبير وعجزه عن تأدية المعنى • فلو قال : هو النخاع الذي ينقاد من  
الدماغ الى أسفل فقرات الظهر لكان أوفى بالمراد •
- ٤ - ان السلف قالوا في هذا المعنى خيط الرقبة أو حبل الفقار لا غير •

وسماه في محيط المحيط حبل الظهر أيضاً ، لكنني لم أره في كتاب ثقة ولا جرم  
إنه أبدل(\*) حبل الفقار بقوله حبل الظهر. وعرف اللغويون حبل الفقار بأنه عرق  
ينقاد في الظهر من أوله الى آخره (التاج) والعرق في كلامهم هذا لا يعني ما يريد به  
الأطباء من باب التحقيق • بل ما يريد به اللغويون من باب التشبيه ، فانهم يسمون  
بعض ما يمتد طولاً حبلاً وخيطاً وعرقاً • فقد قالوا مثلاً العرق المدني ، وهو داء  
معروف في المدينة ويسمى في بعض ثغور خليج فارس شعرة الحية وهي دودة دقيقة  
تكون تحت الجلد وليست بعرق ولهذا يسميها العراقيون أيضاً شعرة الحية  
والصواب الشعرة الحية. كما سموا الجبل وحبل الرمل عرقاً أيضاً • كل ذلك لما في  
هذه المسميات من معنى الامتداد •

(\*) لو قال الأب : أبدل بعجل الفقار قوله حبل الظهر لكان اصح •• « ع . ك . ي »

ومما ورد في تلك الصفحة عينها ونعده غلطاً قوله : « الأشواك من الثياب الخشن لجذته . يقال : ثوب أشوك وحلة شوكاء » . قلنا في هذا التعبير سقم تركيب ظاهر فكان يحسن أن يقول : الأشواك من الثياب الخشنة لجذتها لتطابق الصفة الموصوف ، لكن في هذا التعبير غلط آخر وهو انه لا يقال الأشواك جمعاً لأشوك بل المفرد المؤنث شوكاء . وهناك غلط ثالث وهو كان يجب عليه أن يقول : الأشوك من الثياب الخشن فزاد الطابع الألف من عنده فصار الأشواك ، على أن الأشوك نفسه غلط رابع وذلك لأن الأشواك لم يرد مذكراً لموصوف مذكر بل سمع عنهم شوكاء صفة لحلة . فقالوا حلة شوكاء ولم يخطر ببالهم أن يقولوا : ثوب أشوك . لكنه نقلها عن محيط المحيط ولم يلتفت الى ما فيه من الأغلاط الفظيعة الشنيعة . وليت الأشواك يكون آخر غلط جاء في تلك الصفحة فقد ورد فيها غلط آخر وهو قوله : « وشال ميزان فلان غلت في المفاخرة » . فلم نفهم هذا الكلام ولا المراد من قوله : « غلت » اذ لا معنى لها هنا ويوافق سياق الكلام وبعد أن فكرنا طويلاً ، قلنا : لا شك أنه أراد : غلب ( بصيغة المجهول ) في المفاخرة . لكن المنضد قلب الباء الموحدة التحتية تاء مثناة فوقية فانقلب المعنى ظهراً لبطن بل انقلب كلاماً لا ظهر له ولا بطن ، ولم يلتفت المصحح الى ما حل بالكلمة من التحويل والتبديل . وليس في آخر الكتاب تصحيح لأغلاط الطبع التي وردت فيه لتبرئه من كل تهمة والأغلاط التي فيه تشوه كل صفحة من صفحاته التي تعد بالمئات .

فهل حفظت الأغلاط التي سردناها لك وقد جاءت في صفحة واحدة ؟ - فهي :

- ١ - شوك ( كسبب ) والصواب كحذر .
- ٢ - أشواك ( كأحمال ) والصواب شوك ( كقول ) .
- ٣ - أصابع والصواب أسنان .
- ٤ - ثم تنبسط والصواب حتى .
- ٥ - أرضي شوكي والصواب حذف هذه اللفظة بتأتاً من اللغة ، والاكتفاء بالخرشوف لا غير\* .
- ٦ - ثوب أشوك لا يقال بل حلة شوكاء .
- ٧ - غلت في المفاخرة والصواب غلب في المفاخرة . وهكذا قل عن كل

(\*) الوارد في اللغة الخرشف بالمهملة وذكره الشهاب الغفاجي بالمعجمة أي بالغاء ولفظ أرضي شوكي معروف Artichaut واللفظ الأجنيبي معروف عن اللفظ العربي ( ع . ك . ي ) .

صفحة من هذا المعجم فان الأغلط تكثر فيها وتختلف بعضها عن بعض  
عدداً ونوعاً باختلاف المواد . فتأمل .

ننتقل الى ذكر ما ورد فيه من الأوهام ذاكريها طوائف وفصولاً فصولاً كما  
بدأنا في جزء سابق فنقول :

### جهله علم الحيوان

جاء في مادة ر ب ح : الرباح بالفتح كسحاب . . . دويبة كالسنور وهي قطعة  
( كذا ) الزباد لأنه يحتلب منها . و - بلد يجلب منه الكافور - الرباحي : صنف  
من الكافور منسوب الى رباح وهو البلد الذي يجلب منه الكافور . اه .

فلننعم النظر في هذا الكلام ، وأول كل شيء نأخذه عليه أنه قال الرباح  
بالفتح كسحاب . فقوله بالفتح زائد لأن ايراد وزنه كاف - ثانياً قوله دويبة  
كالسنور في غير محله اذ الدويبة المذكورة لا تسمى رباحاً بل زباداً أو  
زبادة فصحفه بعضهم وجرى وراءهم على هذا التصحيف كثيرون من الأدباء والكتبة  
واللغويين ، وكان الأليق به أن يقول ان الرباح تصحيف مخطوء فيه لكلمة زباد  
وقد حقق ذلك صاحب تاج العروس ولا نريد أن نورد كلامه وتحقيقه لطوله .  
ثالثاً قوله « وهي قطعة » من غلط الطبع وقد ذكرنا ذلك في محله والصواب قطعة  
الزباد وهي عبارة محيط المحيط الا أنه قدم فيها وأخر ليوهم أنه غير ناقل ؛ لكن  
الفضيحة تظهر في قوله « قطعة الزباد » والسلف لم يقل أبداً قطعة الزباد بل سنور  
الزباد ( راجع حياة الحيوان للدميري ) ولم ينطقوا في هذا المقام بالقط والقطعة  
أبداً لأن قولهم « القط » خاص بالحيوان الأليف الأهلي أما السنور فقد يقع على  
الوحشي أيضاً كما يؤخذ من نصوص الأئمة ، وأنت تعلم ان الزباد أكثر ما  
يكون وحشياً وقليل ما يكون أهلياً . وهناك سبب آخر وهو ان اللفظة القليلة  
الأحرف تدل على معنى يقع على مدلول صغير بخلاف اللفظة الكثيرة الأحرف فانها  
تدل على مدلول أكبر ولما كان الزباد أكبر بقليل من القط دعوه سنور الزباد لا قط  
الزباد .

أما معنى الرباح أو الرباحي على الحقيقة فهو ضرب من الكافور فاخر .  
ولا جرم ان الكلمة مصحفة لأننا لا نجد اليوم في كتب البلدان بلداً معروفاً بهذا

الاسم ، ولهذا نظن أنه مصحف تصحيفاً قديماً وهو زباج ( بزاي وباء موحدة تحتية وألف وجيم ) ، والكلمة على وزن سحاب ، وهي لغة في زابج وتمال الألف فيهما فيقال زيبج وسيبج وينسب اليهما زيبجي وسيبجي ومن ذلك السباجة بباءين موحدين أو السباجة بهمزة قبل الجيم والصواب السباجة وهم الذين سماهم صاحب البستان بالسباجة التي لم يذكرها أحد وإن كانت تجوز هذه التسمية الأخيرة المصلحة من غلطها على سبيل حذف ياء النسبة وقد وردت أمثله في كلام علمائنا الأقدمين .

أما ما هي زابج . فالذي حققه علماء العصر من مستشرقين وغيرهم انها جزيرة « جاوة » الحالية وكانت تطلق أيضاً هذه التسمية على ما جاورها أي على ما نسميها اليوم سومطرة وقد جاءت زابج وزباج وسابج وسباج بصور كثيرة مصحفة لا تعد وكلها في المخطوطات والمطبوعات وما ذلك إلا لغرابة اللفظة عن مألوف الألفاظ ولتناول القوم اياها من أدباء وجهلة فخبطوا وخلطوا والمشهور ما ذكرناه .

وعليه كان يجب على المؤلف أن يقول مثل هذا الكلام أو يقاربه : « الرباح كسحاب . . . تصحيف قبيح مرغوب عنه للزباد وهو دويبة كالسنور وتسمى أيضاً سنور الزباد و - بلد يجلب منه الكافور وهو تصحيف زباج الذي هو لغة في زابج وهي جزيرة تعرف اليوم بجاوة وربما جاءت بمعنى سومطرة أيضاً . وسمي رباحياً أيضاً نسبة الى رباح خطأ وقد تحذف ياء النسبة كما قالوا في جهرمي جهرم .

ومن غرائب وقوفه على علم الحيوان ما قاله عن التمساح فقد ذكر في مادة تمسح : ما هذا حرفه : « التمساح [ولم يضبطه إلا بالقلم ] حيوان مائي كالسلحفاة ضخمة طوله نحو خمسة أذرع . . . » قلنا : وأول شيء نعترض عليه هو ذكره التمساح في باب تمسح : وجميع اللغويين ( ما خلا صاحب محيط المحيط ومن نقل عليه ) ذكروه في تمسح لأن التاء زائدة وهي في ما أظن - أداة التعريف للمذكر عند قدماء المصريين والكلمة مصرية . والشيء الثاني الذي تأخذه عليه أنه تابع صاحب القاموس في قوله : حيوان مائي كالسلحفاة ، وهو تعريف يصح أن يذكر في أيام أئبنا آدم أو نوح أو أحد الآباء الأقدمين ، أما اليوم فهذا التعريف يبعث

على الضحك والاغراب فيه . ولو تابع صاحب المصباح لكان أحسن - ثالثاً أن في التمساح لغة ثانية ذكرها صاحب المصباح وهي التمسح بحذف الألف . وهذه عبارته في مادة مسح والتمساح من دواب البحر يشبه الورل في الخلق لكن يكون طوله نحو خمس أذرع وأقل من ذلك . . . . والتمسح كأنه مقصور منه والجمع تماسيح وتماسح اه - رابعاً : قال خمسة أذرع كما نطق به المجد الفيروز آبادي والمشهور أن الذراع مؤنثة وإن كانت تذكر فاتباع الأفصح المشهور خير من اتباع القبيح المهجور . قال ابن بري . الذراع عند سيبويه مؤنثة لا غير ولم يعرف الأصمعي التذكير في الذراع ( راجع لسان العرب وتاج العروس ) ومع ذلك اننا لا نخطئه لكونه ذكر تذكيره هنا إنما نقول كان الأحسن أن يؤنث . لأن حضرة المؤلف الجليل يرمي دائماً الى الفصح بل الى الأفصح على ما يرى من كتاباته وتأليفه . - خامساً : كنا نود أن يعرف الحيوانات والنباتات والجمادات تعريفاً علمياً عصرياً فإن أبناءنا قد ملوا هذه التعريفات القديمة لأنها غير محققة وتنافي تقدم العلوم الطبيعية على ضروبها .

جاء في الجزء الثاني من السنة السادسة من لغة العرب :

### الحرز ( معركة )

في محيط المحيط : الحرز الخطر والجوز المحكوك تلعب به الصبيان . . . اه . أخذ هذه العبارة صاحب البستان فقال : الحرز معركة الخطر و - الجوز المحكوك الذي يلعب به الصبيان . . . ولم يصب في كلامه لأنه توهم أن الخطر غير الجوز المحكوك ففصل المعنى والأب بلو اليسوعي لم يفهم هذا الشرح في فرائده ( الفرائد الدرية في اللغتين العربية والفرنسية ) : حرز : dé à jouer أي الكعب أو الزهر ( زار الطاولة عند العراقيين ) والخطأ أوضح من الشمس في رابعة النهار . وقد أعاد هذا الغلط في معجمه الآخر الفرنسي العربي ١ : ٢٩٠ وفي ديوان الأدب : الحرز الخطر وهو الجوز المحكوك الذي يلعب به الصبيان يفعل به ذلك ليكون أسرع تدهوراً في بعض الألعاب لهم لا كلها اه .

## فوائد لغوية

### الشيخ عبد الله البستاني ولغتنا

خذ بيدك أي ديوان لغة شئت من دواوين لغتنا الشريفة وتصفح حق التصفح تتحقق أن فيه بعض المغامز . هذا كتاب «العين» للخليل، الذي له السبق على سائر المصنفات التي من ضربه ، لا يخلو من معائب ؛ وقد نبه عليها اللغويون الذين جاؤوا بعده ، ان في حياته وإن بعد وفاته . وكذا قل عن كتاب الجمهرة لابن دريد والتهذيب للأزمهرى ، والصحاح للجوهري ، والمحكم لابن سيده ، والمجمل والمقاييس كلاهما لابن فارس ، والمحيط لابن عباد ، الى غيرها من معاجم اللغة ، فلقد جاء بعدهم من أخذ عليهم بعض أمور لم يصيبوا فيها وكان النقد صحيحاً في أغلب الأحيان إن لم يكن في جميع المواطن .

على أن تشويه اللغة الشنيع لم يبدأ إلا لما أخذ المستشرقون في تصنيف المعاجم واستدراك ما لم يجدوه في كتب متون اللغة ، بل وجدوه في تصانيف المولدين وأرادوا ايداعه مؤلفاتهم . فكانوا كحاطب ليل ، أحسنوا في أمور وأسأؤوا في أخرى . وبين هؤلاء المتعربين : غليوس وفريتغ .

كان غليوس أول من عني بتدوين المستدركات لكنه لم يكن واقفاً حق الوقوف على أسرار العربية ومطالعة كتب الخط ، فقرأ ألفاظاً على ما تصورهما وفسرها على ما شاء فجاء بعده فريتغ فكان أوقف منه على مساقط الكلم فأصلح شيئاً من أوهام سلفه ، بيد أنه حاول أن يدون حروفاً عشر عليها في مطالعاته فأخطأ الحفرة هو أيضاً في تعابير كثيرة وقرطس في أغراض لا بأس بها .

تم جاء غيرهما من أبناء الغرب ، فكانوا كأخويهم بين مصيبين ومخطئين . وعلى كل حال نعذرهم لأنهم أجانب عن منطقتنا ومصطلحننا ولساننا وكتابتنا ونتسمع معهم كل التسمح مهما تماردوا في الضلال .

لكن فساد مفردات اللغة لم يبدأ إلا لما شرع المعلم بطرس البستاني في تصنيف ديوانه الكبير محيط المحيط فحينئذ جاءت تلك الأوهام والأغلاط كالسيل المنهمر من عل ، جاحفاً في سيره أصول العربية وفروعها ، فشوه كل ما مر به غير محترم أقوال



المصنفين • ولا جرم أنه لم يتعمد ذلك • حاشا لله أن أقول ذلك ، إنما أنا أنظر الى العاقبة وأحكم على ما أشاهده ، فانه أضر بلفتنا أكثر مما نفعها • وهذا معجمه بأيدينا ، لو وزنت ما فيه من المساوىء والمعايب والمغامز والأوهام والهفات ، وتجسمت تجسم المحسوسات ، لقام في وجهك كالجبال التي لا تتزعزع ولا تزال •

وذنب المؤلف أنه نقل كتابه عن معجم فريتيغ وهو في اللغتين العربية واللاتينية ، والظاهر أنه كان يشدو اللاتينية ولا يعرف منها إلا الذرة فخبط وخلط ، وجاءنا بذلك التتاج الجامع بين الحسنات والسيئات على أغرب وجه وأعجبه •

ولما كان هذا المعجم سهل التناول أقبل على شرائه ومطالعة أبناء العصر ولا سيما المؤلفون منهم والمصنفون والصحفيون فكانت عشراتهم لا تقال ، وأصبحت أوهاهم داءً عضالاً • ثم جاءت بعده مصنفات الآباء اليسوعيين من معاجم عربية فرنسية وفرنسية عربية ، وعدا وراء الكل الشيخ سعيد الشرتوني والجميع يأتمون بالمعلم بطرس البستاني • وقد أصبح لهم ولكل من جاء بعده الدليل الوحيد فأصبحت الأغلاط من الشائعات غير الزائلات وهكذا أخذت اللغة تسير في وجه غير وجهها فتنفسد شيئاً بعد شيء ، وتتحكم تلك الأغلاط في النفوس والأقلام وليس من يقوم وينبه على تلك الفظائع الشنيعة •

كنا نفكر في معالجة هذا الداء الوبيل ونتطلب وسيلة لصد السيل الجحاف أو لايقافه عند حده ، إذ قيل لنا أن الشيخ عبد الله البستاني يصنف معجماً يكون جامعاً للحسنات ومزيلاً للسيئات ودواء للأدواء ، فاستبشرنا خيراً وكنا على أحر من الجمر لرؤية تلك الدرة النفيسة ، قاصدين نشر حسناتها واذاعتها على رؤوس الملأ ، لكن ما كاد يصل الى أيدينا المعجم وتنصف صفحات منه حتى انقلبنا آسفين على ما يبرز من قلم الأستاذ الكبير • فانه لم يكتف بتدوين أغلاط من تقدمه من المحدثين ، ولا سيما أغلاط المعلم بطرس البستاني والشيخ سعيد الشرتوني - و «بستانه» ليس إلا نسخة جامعة بين هذين المعجمين لا غير - بل زاد على ذلك ضغثاً على ابالة ، فجاءنا بأغلاط لم تخطر على بال بشر ، ولم تجل في خاطر عربي البتة •

وذكر هذه الأغلاط أمر صعب إذ يحتاج الكاتب الى وضع تصنيف بكبر تصنيفه ليعدد تلك الأوهام ويشبتها بشواهد وليظهر فسادها أو ليزيفها • على أن

ما لا يدرك كله لا يترك جله • ونريد بهذا الجمل اشارات الى أنواع ما هناك من  
المغامز الخاصة بهذا المعجم الغريب •  
ولكي لا يتهمنا أديب بالمغالاة أو بالتحزب على شيخنا الوقور ، نأخذ صفحة  
من صفحات كتابه ونعرضها على القراء •

١ - قال حضرته في ص ١٠٨٧ من كتابه : « السرق : مصدر و - شقق من الحرير  
الأبيض معرب سره بالفارسية أي جيد • الواحدة سرقة • »  
قلنا : هذه العبارة عبارة محيط المحيط للبستاني وعبارة جميع اللغويين الأقدمين  
لكن اللغوي الناقد اذا وقف على هذه العبارة ومثلها يعدها خرافة اذ كيف يكون  
معنى سره بالفارسية جيداً • ويكون في العربية شققاً من الحرير الأبيض هذا أمر  
لا يقبله العقل • ان السرق أعجمية بمعنى الحرير ، لكنها ليست فارسية بل  
لاتينية أي Sericum .

٢ - وقال : « السرق كسرد : ضرب من النبات • »

وقد بحثنا عن هذا الحرف في ما لدينا من الكتب النباتية واللغوية من مطبوعة  
ومخطوطة • فلم نجد ذكراً لهذا النبات عند السلف ، انما وجدنا الكلمة في محيط  
المحيط وهذا نقلها عن فريتغ ولم يعزها • وفريتغ نقلها عن فورسكال في كتابه  
أزاهير مصر وجزيرة العرب • فاتضح أن الكلمة عامية • وهذا ما يجب أن يشار  
اليه كما فعل الأقدمون وكان يجب أيضاً أن يذكر نوع هذا النبات حتى لا يكثر في  
دواويننا مثل هذا القول الذي أعيا الكبار والصغار : ضرب من النبات من غير أن  
يحلوه • وهو أمر كان كافياً في العصور الأولى ، أما الآن فلا يكفي •

٣ - وتري في تلك الصفحة قوله : « السرقين [ وضبط الأولى بالكسر  
والثانية بالفتح ] الزبل كالسرجين » • • • [ وضبط زاي الزبل ضبط قلم بالضم ] •  
والصواب ضبط زاي الزبل بالكسر وهو مشهور •

٤ - وفي تلك الصفحة : « السركار [ وضبطها بكسر السين ] ديوان الوالي  
فارسية » •

وهي عبارة محيط المحيط وقد نقلها عن فريتغ • وفريتغ لم يضبط اللفظة  
ولم يقل ديوان الوالي ، بل قصر الأمير Aula principis وهي لم ترد الا في كلام

المولدين المتأخرين من الكتبة ولم ترد في كلام فصيح . ففي قوله اذن غلطان : غلط ضبط وغلط معنى .

٥ - وفيها : « سرمه تسريما : قطعه . تسرم : تقطع مطاوع سرمه . » ولو زاد على ذلك : وكتاهما لغة في صرم وتصرم لاهتدى الباحث الى اللغة المشهورة .

٦ - ومن ألفاظه الخاصة بمعجمه قوله في تلك الصفحة : « ( ذوات السرم ) من الحيوان ما كان له مسلك واحد للنسل والثفل كالطير » .

قوله : « ذوات السرم » لا يقابل ما يريد به . ثم إن هذا التعبير حديث الوضع لا يعرفه الأقدمون ولم يشر الى حدائث وضعه . وهو قصور باد لكل ذي عينين . والذي وضعه الافرنج في هذا المعنى هو Monotrèmes ولا يطلق على الطير بل على طائفة من الحيوانات ذوات الثدي إلا أنها وسط بينها وبين الطير فقد أخطأ في التسمية وأخطأ في الشرح وأخطأ في التمثيل ثم ولوقال « الوحيدة المسلك » كان أحسن وأعف لفظاً .

٧ - وفي ذلك الوجه يقول أيضاً : سرم الديك نوع من النباتات .

قلنا : العبارة عبارة محيط المحيط وهي من سوء النقل عن فريتغ . والصواب أن يقال : هو ثمرة الورد ويكون أحمر وهو من كلام عوام أهل الشام وفصيحه الديك . راجع ما قاله شرحاً لهذه اللفظة فقد قال عنها : تمر ( كذا ينقطتين والصواب تمر ) الورد يحمر حتى يكون كالبسرة فينضج فيحلو فيؤكل كأنه رطب . اهـ . اذن سرم الديك ليس نباتاً بل ثمرة نبات .

٨ - وفي الوجه المذكور يقول : « السرمان بالكسر ، والضم لغة يقال هو العظيم من اليعاسيب . و - دويبة كالحجل . قلنا : الذي في اللسان : « السرمان : العظيم من اليعاسيب ، والضم لغة والسرمان [ وضبطها بالكسر ] دويبة كالحجل و ضبطها بالقلم وزان سيب وقد أعاد صاحب التاج هذه الكلم ولم ينسبها الى ابن مكرم . قلنا : وفي كل ذلك عدة أوام فالسرمان بالكسر والضم لغة هو العظيم من اليعاسيب وهو دويبة كالحجل بتقديم الجيم المفتوحة على الهاء الساكنة ومعناه - على ما جاء في التهذيب - : [ دويبة ] في خلق الجراد اذا سقط لم يضم جناحيه . فهذا هو الحق لا ما مسخه نساخ كتب اللغة فغدا الكلام طلسماً من الطلسمات .

٩ - وفي تلك الصفحة ما هذا نصه: « السرموجة بالضم : حذاء يستر مقدم القدم وعقبها ويبلغ الى الكعبين ج سرامج » .

قلنا في هذه العبارة ثلاث غلطات : غلط ضبط وغلط تأويل وغلط صرف ، بل هناك غلط رابع وهو أن الكلمة ليست فصيحة بل مولدة واذا أردت غلطاً آخر فانك غير مبالغ وذلك أن سرموجة فارسية الأصل وهو لم يشر الى عجمة أصله بكلمة . - أما غلط الضبط فهو أن الكتب التي ذكرت اللفظة هي كتب المولدين وحدهم وهم ضبطوها بفتح السين لأنها هي كذلك في الفارسية وأما لأن فعلولاً أو فعلولة لم يرد مفتوح الأول فهو حديث خرافة قال به الصرفيون وبعض اللغويين ، أما الحق فانه وارد في لغتنا من ذلك صعفوق ، وصندوق ، وكرموص ، (التاج) وسحنون ، ( على رواية ) ، وقرقوف ، وطرخون ، وبرشوم ، الى غيرها . وفتح أول سرموج أو سرموجة ذكره البستاني في محيط محيطه اذ يقول : السرموج [ وضبطها ضبط قلم بالفتح ] نوع من الأحذية والسرموجة أخص منه وتعرف عند العامة بالسرماية وأكثرهم يقولها بالصاد . اه . وقال صاحب أقرب الموارد في ذيله : السرموج [ وضبطها أيضاً ضبط قلم بالفتح ] نوع من الأحذية ، والسرموجة اخص منه . دخيل ( نقله فريتغ من ألف ليلة وليلة ) . اه . فأين وجد حضرته أن السرموجة بضم الأول ؟ فانه لم يقل ما قال إلا لكي يوافق على قول اللغويين : العرب لا تعرف وزن فعلول المفتوح العين مع أن هذا التقييد غير صحيح كما ذكرناه .

ومن غريب ما نقله في تعريف السرموج انه قال : « حذاء يستر مقدم القدم وعقبها ويبلغ الى الكعبين » . اه . والذي ساقه الى الوهم عبارة نسيبه الذي قال ان السرموجة تعرف عند العامة بالسرماية وأكثرهم يقولها بالصاد أي الصرماية وهذا غير صحيح البتة والذي دفع البستاني الأول الى هذا القول انه رأى مشابهة بين أول كلمة سرموجة وأول سرماية فقال لا بد أن العصا من العصية وهو وهم ظاهر فالصرماية مشتقة من الصرم وهو الجلد الذي تتخذ منه ولا يقول العوام أبداً سرماية بالسين فكلام البستاني الصغير لتعريف السرموج يوافق الصرماية ( أو الصرم ) عند العوام ولا يوافق البتة السرموج . والصرماية عند الشاميين هي الكوندرية عند الترك وعند العراقيين الحاليين . فأين السرموج من الصرماية .

أما السرموج فهو الخف الواسع الذي يلبس فوق الخف . والكلمة فارسية مركبة من (سر) وهي بمعنى فوق في لسان الفرس أو [ موزه ] أي موق أو خف فيكون معنى السرموج « ما يلبس فوق الخف » فأين هذا من ذاك ؟

والأقدمون منا لم يعرفوا السرموج فان هذه من المعربات الحديثة معربات كتاب ألف ليلة وليلة . أما السلف فقد عرفوها باسم الجرموق قال صاحب البستان نفسه عن الجرموق: ما يلبس فوق الخف وقاية له وهو فارسي معرب . اهـ . فيظهر من كلامه عن السرموج والجرموق انه لم يعرف أن الواحد هو الآخر بعينه ، انما الفرق هو أن الجرموق من تعريب الأقدمين والسرموج من تعريب المحدثين أو المولدين ، وانما فضلوا السرموج على الجرموق موافقة لأصلها الفارسي وهو سرموزه ، وثانياً خشية اجتماع الجيم والقاف في كلمة واحدة فيكون لها ظاهر الأعجمية فأجبا أن تكون بنيتها بنية عربية .

وأما غلط الصرف الذي أشرنا اليه في صدر الكلام عن السرموج فهو أنه جمعها على سرامج وهو لم يسمع عن أحد ولا سيما لأنه مخالف لأصول لغتنا وصواب جمعها سراميج حملا على القياس لأن فعلول لا يجمع على فعال بل على فعاليل اللهم إلا في الشعر وذلك عند الضرورة فقط ، ونزيدك يقيناً في ما نقول أن صاحب المصباح المنير ذكر لجمع الجرموق ( وهو السرموج عينه ) جراميق ولم يقل جرامق البتة .

والغلط الرابع الذي جاء في كلامه عن السرموج هو أن اللفظ من كلام المولدين أو من كلام عوام العصور المتوسطة وليس من حر اللغة والسلف الصالح ينبه دائماً على مثل هذا الأمر كل مرة اقتضت الحال ، لأن حر اللفظ شيء واللفظ الساقط شيء آخر .

أما أنها فارسية الأصل ولم يشر الى عجمتها فلقد بيناه فويق هذا وهو غلطه الخامس وذلك كله في كلمة واحدة .

وقال في تلك الصفحة ( لأننا الى الآن نطالع في ص ١٠٨٧ ولم نخرج عنها اذ هي جنبه من جنبات ذلك « البستان » الزاهي ، والمتنزه قلما يود مفارقتة ) : « السرمدي الدائم الذي لا ينقطع وقيل - ما لا آخر له » اهـ .

قلنا : ظن المؤلف أن بين الشرحين فرقاً في المعنى ففصل بينهما لاعتقاده أن الأول غير الثاني والحال أن كلا الشرحين واحد وما الفرق إلا في التعبير لا غير .  
وفي تلك الصفحة عاد الى ذكر السرموج بصورة السرموزة وضبطها أيضاً بضم الأول فقال : « السرموزة لغة في السرموجة » . اه .

نقل ذلك عن محيط المحيط الذي ذكرها بفتح الأول وفريغ لم يضبطها ولم يقل سرموزة بل سرموز ( بلا هاء في الآخر ) ؛ وقد ذكر أنه نقلها عن يعقوب شلت الألماني . - اذن لم تنقل عن عربي فصيح وعلى كل حال لم ينبه صديقنا المحبوب على هذا الأمر .

وجاء في تلك الصفحة أيضاً : السرمق نبات الفطف معرب .

قلنا : صواب القطف بالقاء : القطف بالقاف والسرمق من الفارسية سومه وهو القطف أي الاسبانخ الروسي .

ومما ورد في تلك الصفحة قوله : « السرنج ( وضبطها كجعفر ) نوع من صناعة النقش كالفسيفساء » .

والصواب أن تضبط السرنج كسمندأي بفتحتين فسكون وختم تلك المادة س ر ن ج وتلك الصفحة بقوله : وسرنج كجعفر دوية أي مفازة واسعة بعيدة الأرجاء . اه .

قلنا : سرنج لم ترد في كتاب عربي بالمعنى الذي يشير اليه انما وجدها في ذيل أقرب الموارد بهذا التصحيف فنقلها عنه وصاحب الذيل يزعم أنه نقلها عن اللسان وهي لا توجد فيه في المادة التي يشير اليها بل ترى في مادة س ر ب ج قال في تاج العروس : سربج بالباء الموحدة بعد الراء ، في اللسان في حديث جهيش : وكأين قطعنا اليك من دوية سربج أي مفازة واسعة الأرجاء . اه . فأنت ترى من هذا أن كلا من اللسان والتاج ذكر سربج ولم يذكر « سرنج » فكيف نسبها الى اللسان وهي ليست فيه ؟ - الجواب أن الشرتوني نقلها عن التاج الذي يعزوها الى اللسان . والتاج ذكرها في مستدرك مادة س ر ن ج فظن أن سربج من خطأ المؤلف أو الطبع فوقع في تلك الهاوية ، مع أن السيدمرتضى ذكر اللفظة في مستدرك المادة لا في المادة نفسها . فتأمل .

على أننا نقول أن السربخ غير صحيحة والصواب السربخ بباء موحدة تحتية وخاء معجمة في الآخر . وهذه ذكرها جميع اللغويين وممن ذكرها ابن الأثير في نهايته وهو حجة ثقة في إيراد الأحاديث وغريب ألفاظها وهو أقدم من ابن مكرم والفيروزابادي والسيد مرتضى . فأول من صحفها اذن بصورة سرنج هو صاحب اللسان ثم تبعه صاحب التاج . أما السربخ بباء معجمة في الآخر فقد ذكرها جميع اللغويين قاطبة . اذن التصحيف بادومن عهد اللسان لا غير . قال في النهاية في مادة س ر ب خ : [ أي جاء في كتاب أبي موسى ] في حديث جهيش : وكأين قطعنا اليك من دوية سربخ أي مفازة واسعة بعيدة الأرجاء . اهـ . ولم يذكر شيئاً في مادة س ر ب ج . وجرى في أثر ابن الأثير اللسان والقاموس والتاج بل حضرة الشيخ عبد الله نفسه اذ ذكر هذا الحديث بنصه في مادة س ر ب خ وقدم عليه قوله : السربخ كجعفر : الأرض الواسعة المضلة التي لا يهتدى فيها لطريق . وفي حديث جهيش . . .

الى هنا انتهت بنا مطالعة هذه الصفحة ونحن لا ندعي بأننا وفيناها حق النقد من جميع وجوهه وأتيننا على كل ما فيها من السقط فلعل غيرنا يرى فيها ما لم نره وعلى كل حال اننا كتبنا ثمانني صفحات من مجلتنا لظهار ما في صفحة واحدة مما نظنه أوهاماً ، فكيف بنا لو أمعنا النظر في المجلد الأول كله وفيه ١٣٨١ صفحة فنحتاج إذاً الى ثمانني مرات ١٣٨١ أو ١١٠٤٨ أي نحو اثني عشر ألف صفحة ، فمن ذا الذي يكتبها ومن هذا الذي يطبعها ومن ذاك الذي يطالعها . . . ذلك ما نتركه للقراء ليحكموا فيه ، والله الهادي الى سواء السبيل .

### يهرف ليس اسم سبع

جاء في تاج العروس ، في مستدرك مادة ه ر ف ما هذا حرفه : ومما يستدرك عليه ( أي على المجد الفيروزابادي صاحب القاموس ) : يهرف كيضرب : اسم سبع سمي به لكثرة صوته . اهـ . وقد بحثنا في الدواوين التي بأيدينا فلم نجد ذكراً لهذا السبع ، انما وجدنا ابن سيده يقول في مخصصه ( ٨ : ٧٥ ) : ويقال لبعض السباع هو يهرف بصوته أي يتزيد فيه . اهـ . ولم نجد أكثر من هذا القدر ، وقد قال صاحب أقرب الموارد في الذيل : « يهرف كيضرب : اسم سبع سمي به لكثرة صوته

( التاج ) « اه . وأنت ترى أنه لم ينقل إلا نص التاج وكان عليه أن يحقق الأمر بنفسه . فانظر كيف يجب أن تعتمد على ما ينقله المؤلف رحمه الله . فعسى أن يفيدنا أحد الأدباء فائدة وافية عن هذا السبع ونشكر له سلفاً يده علينا .

### الحرباء

قال المعلم بطرس البستاني في محيط محيطه في مادة ح ر ب : الحرباء . . .  
معرب حربا ( وضبطها بضم فسكون فباء مفتوحة فألف مقصورة ) بالفارسية .  
ومعناه : حافظ الشمس اه . وقف على هذه العبارة صاحب البستان . فقال . . .  
« وهو فارسي الأصل مركب من « حر » أي الشمس ومن « باء » ( كذا ممدودة )  
والمجموع حرباء أي حافظ الشمس » .

قلنا : وكل هذا الوهم سرى من فريتغ وعنه أخذ البستاني الأول عبارته . على  
أن المستشرق الألماني يقول : ويظن بعضهم أن الحرباء من الفارسية حربا ( بلا مد )  
ومعناه : حافظ الشمس ( لا حافظة الشمس ، لأن الحرباء مذكر لا مؤنث  
ومؤنثها حرباءة أو أم حبين ) .

نعم . خور أو خر يعني الشمس ، لكن « با » أو كما قال الشيخ عبد الله « باء »  
لا تعني الحافظ أو الحافظة ؛ فمن أين أتى بهذا التأويل ؟

جاء في الجزء الثالث من السنة السادسة من لغة العرب :

### الدرداقس L'AXIS

في « البستان » للبستاني : ( الدرداقس ) ويقال أيضاً بالصاد ، عظم يصل بين  
الرأس والعنق معرب عن الرومية . اه . وهي عبارة أقرب الموارد ومحيط المحيط  
وكل من أخذ عنهما وأول من غلطها صاحب القاموس لأنها عبارته والخطأ واضح ،  
والصواب : يفصل بين الرأس والعنق . أو : تصل الرأس بالعنق ؛ لكن لغويينا  
المحدثين حاطبو ليل ينقلون بلا ترو ولا تبصر .

وغوليوس وفريتغ ودوزي وقزميرسكي وسائر نقلة الافرنج لم يذكروا  
الكلمة الرومية ( أي اللاتينية ) التي صحفت عنها . ونظن أنها من Dorsi axis



أي محور الرأس وهو معناها ، على أن السلف الفصحاء عرفوها باسم ( الفائق )  
 من ( ف و ق ) لأنها تفوق جميع الفقار بعلوها ، و ب ( الفهقه ) قال ابن الأعرابي  
 الفهقه : موصل العنق بالرأس . وهي ( السرير ) أيضاً اذ يجلس عليها الرأس ويقر .  
 وجاء ( درقاس ) في الشعر بدلا من درداقس . أنشد أبو زيد .

من زال عن قصد السبيل تزايلت بالسيف هامته عن الدرقاس  
 أورد ذلك صاحب اللسان والتاج في مادة ( در د ق س ) .

قال أبو زيد : و ( المتلقية ) على عظم الفائق مما يلي الرأس . آه . فتكون  
 هذه المسماة بالافرنسية L'atlas ( المخصص ١ : ٦٠ ) فاحفظ كل ذلك .

### البلور والبلارج وضبطهما

ورد في البستان للبستاني : « البلور [ وضبطها كسنور ] جوهر أبيض شفاف  
 وهو نوع من الزجاج . معرب . وقال في اللسان : هو المهي من الحجر . واحده  
 بلورة . . . » انتهى المطلوب من ايراده على ان هناك لغة مشهورة جاءت في اللسان  
 وغيره لم يذكرها البستان وهي البلور ( بكسر ففتح فسكون ) قال في اللسان :  
 وفي التهذيب : وأما البلور المعروف فهو مخفف اللام . آه فعدم ذكر لغات الكلمة  
 الواحدة تقصير من المؤلف .

وقال في بلرج : البلارج [ وضبطها ضبط قلم بكسر الراء ] طائر كبير طويل  
 المنقار ليس بأعقف . دخيل . و الصواب ضبط الراء بالفتح لأنه مفرد بدليل قوله  
 الطائر . وليس في لغتنا كلمة واحدة في المفرد مكسور ما قبل آخرها . وقد أصاب  
 فريتغ هذه المرة بضبطها بالفتح ولم يصب صاحب محيط المحيط بضبطها بفتح الراء  
 وكسرها .

### ضبط الأبنوس

في « البستان » الأبنوس ، بضم الباء (؟! كذا) (\*) شجر يعظم كالجوز ، أوراقه  
 كأوراق الصنوبر وثمره كالعنب وخشبه شديد الصلابة أسود ، والهندي  
 منه فيه بياض وهو معرب واسمه بالعربية ساسم وزان جعفر بهمزة . وحذف الواو  
 لغة . آه .

(\*) جاء « في المصباح المنير » : « الأبنوس بضم الباء . . واسمه بالعربية ساسم بهمزة وزان جعفر » ولعلمها لغتان .  
 هذا مثل على تعامل الكرمل . فهو ينقر عن أدنى خلاف .  
 ( ع . ك . ي )

والذي قرأناه في تاج العروس في مادة بنس : آبنوس بمد الألف وكسر الموحدة،  
 قيل : هو الساسم . وقيل هو غيره . واختلف في وزنه وهنا ( أي في مادة بنس )  
 محل ذكره . انتهى . - وذكر اللسان الآبنوس في س س م ، وضبطها ضبط التاج ،  
 ثم قال : والساسم غير مهموز . ثم ذكر الساسم في س أ س م . وقال : « قال أبو  
 حاتم : هو الساسم غير مهموز » . اه - فأتضح من هذا أن « البستان » وهم في  
 ضبط الآبنوس كما وهم في ضبط الساسم إذ أن غير المهموز أفصح من المهموز .  
 ومن غلط في ضبط الآبنوس صاحب محيط المحيط وكل من نقل عنه .

### البرسام في « البستان »

في « البستان » : برسم الرجل بالبناء للمفعول فهو مبرسم أصيب بعلة البرسام ،  
 ولم يرد هذا الحرف معلوماً في غير محيط المحيط وأقرب الموارد من كتب اللغة . اه  
 قلت : ونسي : معجم فريتغ الذي نقل عنه البستاني وعن هذا نقل الشرتوني على  
 أنك تقول : برسم الله الرجل ( بالمعلوم ) فبرسم ( بالجهول ) فيستعمل بالمعلوم .

### الزق ومرادفاته

« البستان » - كما رأيت كثير الأغلاط . إذ لا تكاد تطالع فيه مادة إلا هجم  
 عليك سيل الأوهام حتى لتحار ما تصلح منها . وحين يقول لك : قال فلان وذكر  
 فلان فلا تصدقه . لأنه ينقل الأقوال عن « الرواة » لا عن « المؤلفين أنفسهم »  
 قال مثلاً في مادة زق : « وقال في الكلبيات لأبي البقاء : « الزق اسم عام للطرف ،  
 فان كان فيه لبن فهو وطب . وان كان فيه سمن فهو نحي ، وإن كان فيه عسل فهو  
 علة [ كذا وضبطها بكسر العين ] وان كان فيه ماء فهو شكوة . وان كان فيه زيت فهو  
 حميت وزق الحداد كيره » .

قلنا : هذه عبارة محيط المحيط بخطئها : والصواب فهو عكة بضم العين .  
 ثم إن كلام صاحب الكلبيات ينتهي بعد قوله : « وإن كان فيه زيت فهو حميت » .  
 وما بقي فهو من كلام صاحب محيط المحيط بصورة « حميت » أي بالخاء المعجمة  
 فصحتها لكنه لم يصحح « العلة » بالعكة وهو مما فات . ولا جرم أن وجود الغلط  
 في محيط المحيط والبستان يفسد اللغة ولا سيما عند اتفاق الاثنين على النقل .  
 مع أنك تحققت أن الناقل هو واحد وما الثاني إلا ناقل كلام الراوي لا غير . وعلى

مثل هذا الوجه تثبت الأغلاط في الكتب ويزلق الناس في ما يكتبون . أفما كان يحسن بالشيخ عبد الله أن يراجع النصوص قبل اثباتها حتى لا تزل بها القدم هذا الزلل . ومثله كثير في كتابه ؟

يظهر من هذه المستدركات عنف الأب أنستاس على البستانيين المعلم بطرس البستاني وعبد الله البستاني وعلى أمثالهما ممن نشر معجماً كسعيد الخوري الشرتوني صاحب « أقرب الموارد » والأب لويس معلوف اليسوعي صاحب المنجد وجورج ولهم فريتغ ( فريتاغ ) صاحب « المعجم العربي اللاتيني » وغيرهم من عرب ومن مستشرقين .

وقد تأملنا ملياً هذا العنف وتلك القسوة وذلك التجريح الذي ينهال الأب به على رصفائه ممن يشتغل في مجال اللغة العربية ويستنفد جهده ويضعف بصره في التنقير عن أوابدها والرجوع الى معجمات اللغة القديمة لينقل مفرداتها ويمسح الغبار عن ألفاظها الشريفة فيجعلها مصقولة متألقة قريبة المتناول . ولم يذهب بنا الظن الى أن في صدر الأب حفيظة على المعلم بطرس بسبب خروجه من المذهب الكاثوليكي ودخوله في المذهب البروتستنتي لأن رصفاءه الباقين بقوا على نحلته من الديانة المسيحية بمذاهبها المتعددة الواسعة الأرجاء المتفتحة لقلوب الناس وضمائهم .

وإنما نرى أن الأب كان متحققاً بعلوم العربية اللغوية ، مزهواً باطلاعه على جملة من اللغات الأجنبية القديمة والحديثة . حمله حبه للغة العربية على أن طبع قسماً من معجم العين المنسوب الى الخليل الفراهيدي سنة ١٩١٤ فكان في موقع القدرة على تأليف معجم حديث في اللغة العربية يملأ الفراغ الكبير في هذا الشأن . فلما وجد علماء غيره شعروا بهذا الفراغ وسبقوا الى وضع معجمات مفيدة ذاعت وشاعت وتداولها الناس للحاجة الملحة إليها طارت نفسه شعاعاً ولم يجد سبيلاً لظهار فضله وبيان سعة علمه وإبراز قيمته سوى أن يعلنها حرباً شعواء ضروساً على أولئك العلماء يظهر تفاقتهم ويخفض من شأنهم . ويعضدنا في هذا الظن أنه عمد بعد حين الى تأليف معجم ضخيم يزيد مرتين على حجم « محيط المحيط » وهو المعجم « المساعد » الذي زحمته المنون دون إكماله فبقي مخطوطاً في دير الكرملين ببغداد .

وحبذا لو يظهر هذا المخطوط ويصار الى تدبيج معجم جديد تسبك جواهره من رصيد المعجمات المتوافرة . هذا مع ضرورة العمل والتعاون بين مختلف البلاد العربية الى انجاز مثل هذا المعجم الشامل يضم مفردات اللغة والعلوم القديمة والحديثة والمصطلحات موحدة ما أمكن التوحيد ، خدمة لطلاب العلم في البلاد ونهوضاً باللغة العربية من كبوتها ولحاقاً بموكب الحضارة الحديث .

ولقد قامت مديرية الثقافة العامة في وزارة الاعلام العراقية فطبتعت الجزء الأول من « المساعد » بتحقيق كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي عام ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م وهذا الجزء يحتاج الى نظر وتعليق ! .

وليس معنى ذلك أن الأب الكرمل كان واحد عصره وفريد زمانه وأنه سبق أقرانه في العلم وشأهم في الفضل وتقدمهم في معرفة أسرار اللغة العربية الواسعة العميقة . وإنما كان من أكفائهم ونظرائهم وأمثالهم يصيب ويخطيء ، ويجيد ويكدي ، ويسبق ويقصر . كان السبق والاجادة والاصابة أغلب عليه من التقصير والاكداء والخطأ ، إذ كان شديد التحري ، دائم التنقيب ، دائب التنقير ، رهيف الانتباه واليقظة . وكان مع ذلك قوي الشكيمة صعب العريكة ، خشن المراس ، شديد الخلاف مائلاً الى المشاركة والمشاكسة والمعاصرة .

وما أخرى أولئك العلماء والأدباء من أكفاءٍ وأكفياء أن يكونوا كما قال الأعرابي عبيد بن العرندس الكلابي :

**هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو يَسْرِ سَوَاسٍ مَكْرَمَةٌ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ**

**من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري**

لا شك أن نهضات الأمم متصلة قبل كل شيء بنهضات لغاتها وقدرة هذه اللغات على إفادة الدلالات الواسعة والدقيقة في شتى الميادين . فان اللغات مرايا الحضارات ، وخزائن الثقافة ، والمعين الذي تنهل منه الأفكار والعقول ، والمداد التي تجري به الأقلام وتسود به البحوث .

وما أولى البلاد العربية بممكناتها البشرية وطاقاتها العلمية وحوافزها المادية وتطلعاتها المستقبلية بأن تتجه هذا الاتجاه الصحيح وتقصد الى هذه الغاية النبيلة . ومع ذلك فانه يساورنا سؤال في نهج التأليف : هل يوكل التأليف الى شخص بمفرده أو الى جماعة تتولى العمل وتشرف على الانجاز وتضمن بالتعاون الحقيقي قربه من الكمال وتمام الاتقان ؟

الجواب الواضح هو تكليف لجنة من العلماء تكون مسؤولة عن ذلك . وهو أحصف وأسلم ، وهو ما تجري عليه المؤسسات العلمية في البلاد الغربية في العصر الحاضر .

بيد أن تحقيق هذه السلامة والحصافة في البلاد العربية أمر عسير ، لأننا رأينا أن اللجان تغدو عقبة في بلوغ الاتقان وفي القرب من الكمال وفي سرعة الانجاز ، إذ تتوزع المسؤولية بين الأفراد حتى لتكاد تضيع ، واذ يتسلل الى اللجان بسبب من الأسباب من ليسوا أقوياء على مثل هذا العمل ولا قادرين عليه . وكثيراً ما وجدنا بينهم من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ! ولكنه مع ذلك يدعي أنه يدري ! ولكننا مع ذلك نعتقد دائماً أن « يد الله على الجماعة » أي حفظه ووقايته وكلاءه عليهم ، أو « يد الله مع الجماعة » كما روى الطبراني ، كناية عن النصر والظفر . فالتعاون والتآزر سبب النجاح ووسيلة الكمال وطريق الفلاح . ولكن يجب على الأفراد المتعاونين المتآزرين أن يكونوا أكفيا في العمل وأن يتحلوا بالاخلاص والاستقامة ، ولا يكون العمل مجالاً للتواكل وفرصة للاستغلال ومراحاً للراحة والامهال الذي لا بد من أن يؤدي الى الإهمال ، بل الى الافتراق والمتاهة والضلال . وفي المقابل نجد أن المعاجم العربية القديمة انما قام بها أعلام مشهورون أكفيا تيسرت لهم الأسباب فنهدت الى ذلك همهم العالية واختصاصهم العميق ورغبتهم المخلصة الحافزة القوية .

لقد صانوا مفردات اللغة في مؤلفاتهم كما تصان الجواهر في الخزائن ، وحفظوا ركناً من أهم أركان التراث لا نزال نستند اليه ونعول على كنوزه حتى اليوم .

ويسرنا أن نورد هنا مشاهير كتبهم دون استقصائها لعلنا بهذا الايراد نحفز الهمم وندفع الوهن ونرشد العزم وكأننا نفتخر بآلاء تلك الكنوز ونتغنى بها ، ولا يكاد يخلو من بعضها أو من جلّها بيت من البيوت العربية مصفوفة في المكتبات والخزائن أو على الرفوف .

كتاب العين لأبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ هـ ولسنا نريد أن نفحص هنا كل كتاب وخصائصه ولا أن ننوه بمزايا مؤلفه وانما لا نستطيع هنا الا أن نشير الى بعض ملامح هذا العكّم فقد روى ياقوت في معجمه أن سفيان الثوري كان يقول : « من أحب أن ينظر الى رجل خلق من

الذهب والمسك فليُنظر الى الخليل بن أحمد» . وروى أيضاً أن  
النضر بن شميل كان يقول : « أَكَلَتِ الدُّنْيَا بَعْلَمَ الْخَلِيلِ وَهُوَ فِي خُصِّ ( بيت  
من قصب مسقوف بخشبة ) لا يُشعر به » . إشارة الى اتساع علمه وتبحره والى  
زهده وتقواه .

وكل من نورد اسمه ذو مزايا متفردة وأعماله عالية نترك للقارئ الكريم أن  
يستذكرها أو ينقب عنها .

جمهرة اللغة : لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ( ت سنة ٣٢١ ) .

البارع في اللغة : لأبي علي اسماعيل بن القاسم المعروف بالقالي ( ت ٣٥٦ ) .

تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ( ت ٣٧٠ ) .

المحيط : لاسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب ( ت ٣٨٥ ) .

تاج اللغة وصحاح العربية : لأبي اسماعيل بن حماد الجوهري ( ت ٣٩٣ )

والمعجم مشهور باسم الصحاح .

مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس ( ت ٣٩٥ ؟ ) .

المحكم : لأبي الحسن علي بن أحمد المرسى الضرير المعروف بابن سيده ( ت ٤٥٨ )

ولهذا العلامة معجم في المعاني والموضوعات مشهور هو المخصص .

أساس البلاغة : لأبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الملقب جارا لله

والمعروف بنسبة الزمخشري ( ت ٥٣٨ ) .

العباب الزاخر واللباب الفاخر : لرضي الدين الحسن بن محمد العدوي

الصفاني ( ت ٦٥٠ ) .

لسان العرب : لجمال الدين محمد بن مكرم بن علي المعروف بابن منظور

( ت ٧١١ ) .

القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ( ت ٨١٧ ) .

تاج العروس من جواهر القاموس : للسيد المرتضي أبي الفيض محمد بن محمد

الزبيدي ( ت ١٢٠٥ ) وهو من أوسع المعاجم التراثية .

هذا ولا غرو أن الكمال ممتنع على الانسان وأن استدراك الآخر على الأول

واتمام اللاحق عمل السابق من أسباب التقرب من الكمال المنشود .

ع . ك . ي .

والله المستعان في كل شأن .